سلسلة معرفة الله (١٥ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة اللّه

وعده ووعيده

(الدرس الخامس عشر)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٦ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ

الموافق: ٢٠٠٢/٢/٨م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نُقلتْ من تسجيلٍ لها في أشـــرطة (كاسيت) وقد أُلقيتْ ممزوجةً بمفرداتٍ وأساليبَ من اللهجة المحلية العامية.

وحرصًا منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

إعداد: يحـــيى قاسم أبو عَوَّاضَة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

في دعاء زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وهو يستعيذ بالله من نار جهنم، في دعاء يصف فيه نار جهنم، ويعلمنا كيف نستعيذ نحن بالله من نار جهنم.

قال عليه السلام: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتُسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَارٍ لاَ تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا، وَلاَ تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إِلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهُهَا، وَحَيَّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا وَأَحَرَّ عَنْهَا).

جهنم كما وصفها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في آيات كثيرة هي أشد من أي عذاب يتوعدنا به أي أحد من الجن أو الإنس، هي نار كما قال عليه السلام: (تَغَلَّظَ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاه، وَتَوَعَّدَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاه).

الكل هنا في الدنيا يخضع لأمريكا، ويخضع للدول الكبرى في بلدان أوروبا، والكل هنا في المنطقة العربية خضعوا لإسرائيل خوفاً من أن تلك الدول تمتلك (قنابل ذرية) وتمتلك (صواريخ بعيدة المدى تحمل رؤوساً نووية) كل ما لديهم لا يساوي يوماً واحداً في جهنم.

لو صب الأمريكيون كل ما لديهم من قوة عليك وحدك أنت لما ساوى ذلك كله يوماً واحداً في نار جهنم؛ لأنك هنا بأول ضربة، بأول شظية ستموت، ثم لا تحس بأي شيء بعد ذلك، ولو صبوا عليك كل أسلحتهم، ولو افترضنا أيضاً أنك ستبقى حيًّا وصواريخهم توجّه إليك، وقنابلهم توجّه إليك أيضاً حتى آخر قطعة يمتلكونها لكان ذلك أيضاً لا يساوي ساعة واحدة في قعر جهنم.

التخويف بنار جهنم في القرآن الكريم، التخويف بنار جهنم الذي تكرر كثيراً في آيات الله في القرآن الكريم، هو جدير بأن نتأمله جيداً كلنا، وأن نتدبر تلك الآيات؛ حينئذٍ سيجد كل من تأملها، ومن تدبرها بأن كل شيء في هذه الدنيا من مصائبها، من شدائدها، وكل شيء مما يتوعدك به الآخرون، وكل ما تراه عندما يستعرضون أسلحتهم في الأيام الوطنية ستراه كله ليس بشيء، ليس شيئاً بمعنى الكلمة فعلاً أمام هذه النار التي تغلظ الله بها على من عصاه، وتوعد بها من صدف عن رضاه؛ حينئذٍ تجد نفسك أنه ليس هناك ما يجب أن يخيفك، ليس في هذه الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه أبداً فلا الموت، ولا (قنابل) ولا (صواريخ) مهما كانت فتاكة، مهما كانت عظيمة الدمار.

المؤمنون بحاجة ماسة إلى أن يتدبروا كتاب الله، تتدبره بشكل جيد، وبفهم صحيح، ووعي، تتدبر الآية ونلحظ ونحن نتدبرها ما لدى الآخرين كلهم ممن نخافهم في هذه الدنيا، أو يريدون أن نخافهم؛ حينئذٍ سينطلق المؤمن، ينطلق وهو يرى أن كل عمل يعمله في هذه الدنيا أمام كل التهديدات إنما هو عمل يحقق لنفسه به الأمن من هذه النار العظيمة، من نار جهنم.

نار جهنم أكد القرآن على أنها حقيقة، وتناول الحديث عنها وصفًا كاملاً: وصف شدة تسعرها، والتهابها، وصف وقودها، وطعامها، وشرابها، ولباس أهلها فيها، بل نقل كثيراً من الكلمات التي يقولها أولئك الذين يتقلبون بين طبقاتها: تحسرهم، صراخهم، تألمهم، تأسفهم على تفريطهم في هذه الدنيا.

بل لو نعقل ونفهم، أن كل ما يتوعدنا به الآخرون في هذه الدنيا، لا يساوي الحسرات والندم الذي قد يتعرض له الإنسان يوم القيامة إذا قدِم على الله وهو ممن عصاه، وصدف عن رضاه. تلك الحسرات، وذلك الندم الشديد يقول الله ـ وهو ينقل لنا صورة من مشاهد ذلك الندم الذي سيحصل للعاصين ـ يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ يعض أنامله من الألم، من الندم، من الحسرة: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾(الفرقان:٢٧-٢٩) أليست هذه كلها

عبارات حسرة وندم؟ ندم يقطع القلوب، يعض المجرم، يعض الظالم على يديه يعضها من شدة الأسف، والألم، من الحسرة والندم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾(الرعد:١٨) الجزاء الحسن وهو الجنة، والحساب اليسير، والأمن من كل خوف يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾(الرعد:١٨) الذين لم يستجيبوا لله، وأين موضع الاستجابة؟ هنا في الدنيا، وما هو الذي دعانا إليه؟ هو القرآن الكريم، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تلك دعوة الله التي يريد منا أن نستجيب لها، نستجيب لها هنا في الدنيا، والذين لم يستجيبوا لله، أعرضوا عن ذكره، انطلقوا في معاصيه، انطلقوا وراء هذه الدنيا لينشغلوا بها، ليؤثروها على الآخرة، ليبيعوا دِينهم بالقليل القليل منها، هؤلاء عندما يقدمون على الله سبحانه وتعالى، سيتمنى كل واحدٍ منهم لو أن له ما في الأرض جميعاً ومثله معه لسلَّمه راضياً، ومسارعاً إلى تسليمه، لو كان يُقبل منه ليفدي به نفسه من عذاب جهنم.

هذه عبرة للكثير من عباد الله، ممن يشتد طمعه، ويقوده جشعه إلى أن يأخذ شيئاً من هذه الدنيا حراماً، أو يقبل شيئاً منها مقابل أن يدخل في موقف باطل، أو يؤيد باطلاً، أو يقف عن نصر حق، ليفهم هنا وهو في الدنيا أنه لو كان له الأرض كلها وما فيها، وله أيضاً مثلها أضعافاً لكان مسارعاً إلى أن يفدي نفسه به يوم القيامة، لماذا؟ لأنه سيرى من العذاب الشديد، يرى جهنم أمامه، وهو يعلم أنه سيساق إليها، وأنه سيخلد فيها؛ حينئذٍ يهون أمامه كل شيء.

تلك القطعة من الأرض، ذلك المبلغ من المال الذي باع به دِينه، لم يعد شيئاً، يتحسر منه يوم القيامة، ويرى نفسه في موقع أنه لو كان له مثل هذه الأرض، وليس فقط تلك القطعة، أو ذلك المبلغ، أو ذلك المنصب الذي باع به دِينه، بل لو كانت له الأرض كلها وما فيها ومثلها معها لافتدى به يوم القيامة من سُوء العذاب.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أولئك الذين لم يستجيبوا لله ﴿لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(الرعد:١٨) ما الذي يمنع الناس عن أن يستجيبوا لدعوة الله في هذه الدنيا؟ أليس رغبة فيما لدى الآخرين، أو خوفاً مما لديهم؟ سواءً خوفاً من سجونهم، أو وسائل تعذيبهم، أو خوفاً من قنابلهم وصواريخهم. أليس هذا هو ما يمنع الناس في الدنيا؟ لكن هذه الآية تعرض لنا: أن الذين يستجيبون لله وعدهم الله بالجنة، والجنة هي كما ورد في الحديث: ((أن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)) لأن أي نعيم هنا في الدنيا ستفارقه مهما عظم، ومهما كثر.

بل قد يحدث لك هنا في الدنيا وأنت تمتلك الكثير الكثير من وسائل الترف والراحة، فيعرض لك أمراض تحول بينك وبين أن تتمتع بما بين يديك، فترى الآخرين من حولك يتمتعون بكل ما لديك وأنت لا تستطيع أن تذوق من هذا، ولا أن تقرب هذا، من شتى الأصناف التي تمتلكها، تلك الأصناف التي بِعت بها دِينك، تلك الأصناف التي أحبطت بها ذمتك، وأهلكت بها نفسك. إذاً فليس شيء هنا في الدنيا من النعيم، ولا من وسائل الترغيب ما يمكن أن تقارن بينه وبين موضع سوط في الجنة.

فإذا كان الإنسان يسارع هنا في الدنيا من أجل أشياء يريد أن يحصل عليها، وهو لا يبالي أحلالاً كانت أم حراماً، ولا يبالي في ذلك الموقف الذي دخل فيه من أجل الحصول عليها حق أم باطل، لماذا لا يسارع إلى الاستجابة إلى الله ليحصل على ذلك المقام الرفيع؟ على ذلك النعيم العظيم، النعيم الأبدي، النعيم الذي فيه كما ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ((فيها ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشر)).

كذلك الذين لم يستجيبوا لله خوفاً من الآخرين، علينا أن نعود جميعاً إلى الحديث عن جهنم، وإلى التأمل في أوصاف جهنم لنعرف أنها هي التي يجب أن نخاف منها، وأن نحذرها؛ فلننطلق في الاستجابة لله مهما كانت مكلِّفة، ومهما كانت صعبة وشديدة علينا في الدنيا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(إبراهيم:١٥-١٧) الصديد: يقال بأنه عُصارة أهل النار، القيح. الصديد: كل فضلات أجسامهم المحترقة الملتهبة، هي شراب المجرم في جهنم.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(الحجر:٤٣،٤٤) ألم يتحدث هنا حتى عن أبواب جهنم؟ وتحدث حتى عن مغالقها (مصافقها) وتحدث عن زبانيتها، تحدث عن كل شيء فيها، فأين تفكيرنا؟ أين نظرنا لأنفسنا ولمصالحنا؟ أليس هذا هو الذي ينبغي أن نخاف منه؟

والأولى بأن يكون أشد قوة، وأعظم قوة في مقام الاستجابة لله هم من يحملون العلم، هم من هم متعلمون، ومن يحملون العلم؛ لأنهم هم من يعرفون جهنم أكثر من غيرهم، مع أن جهنم أوصافها في متناول الناس جميعاً، كل من يقرؤون كتاب الله. فلماذا يخاف العالِم؟ ولماذا يبحث عن كيف يحصل على مبرر لقعوده عن هذا العمل؟ لقعوده عن أن يقول كلمة الحق؟ لقعوده عن أن يقف في وجه الباطل؟ ما الذي ينبغي أن تخاف منه؟ ليس هناك في الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه في مواجهة هذا الخوف العظيم، وهذا العذاب الأليم جهنم.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ وكأن هذه الأبواب هي أبواب لدركاتها أيضاً، كل طبقة أو كل مقام في جهنم له فئة من الناس، وله باب ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ يدخل منه مَن هو من أهل ذلك الدرَك، سبعة أبواب سواء اعتبرتها في سور واحد وكل باب ينفذ إلى درك من دركات جهنم، وكلها سيئة، وكلها ورطة عظيمة أن تدخل من باب جهنم ثم يوصد عليك، ثم إذا حاولت أن تخرج يتلقاك زبانيتها بمقامع من حديد، يضربونك فتعود، سبعة أبواب لسبعة دركات.

ووجدنا القرآن الكريم ينص على أن فئة هي محسوبة ضمن المسلمين هم سيكونون في الدرك الأسفل من النار، هم المنافقون، في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أخبث عباد الله، لأنهم أسوأ البشر، لأنهم أرجس وألعن البشر جميعاً، قال الله عنهم لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾(المنافقون:٤).

المنافقون هم فئة تعمل في أوساط المسلمين تثبطهم عن نصر دين الله، تخوفهم، ترعبهم، ترجف قلوبهم، تشيع الشائعات التي تقلق نفوسهم، تشيع الشائعات التي ترعب قلوبهم. المنافقون في كتاب الله الكريم تحدث عنهم أسوأ مما تحدث عن اليهود، والنصارى، والمجوس، والكافرين، إذا كانت جهنم لها سبعة أبواب، ودركاتها متفاوتة في الشدة، فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾(الحج:١٩) ألم يتحدث أيضاً عن (الترويشة)[1] في جهنم؟ شراب جهنم، ثم أيضاً يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يكونون نظيفين من كل شيء فوق أجسامهم، لكنها (ترويشة) خطيرة جداً ليس معها (شامبو) ولا معها صابون (لوكس) ولا أي شيء من أدوات التجميل.

ثوب المجرم فيها كما قال الله في آية أخرى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾(إبراهيم:٥٠) وهنا يصب من فوق رأس المجرم الحميم ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ يذاب ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ "إذا واحد منا متروّش بماء ساخن وغلط يبقى في المغراف قليل ساخن، وصبه فوق ظهره، كيف يعمل؟ يقوم من مكانه من حرارة بسيطة" أما هذه (ترويشة) خطيرة: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾(الحج:٢٠) إذا أنت في الدنيا هنا تغتسل بالماء الساخن يتحمله جسمك من أجل أن تزيل الوسخ عن جسمك، أما تلك (الترويشة) في جهنم فإنها تذيب الجلد كله، تذيب الجلد كله ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ يذاب به ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(الحج:٢٠-٢٢) ثيابهم من نار (تفصيل) قطعت لهم ثياب تفصيل، هنا ثياب التفصيل بثلاثة آلاف ونحوها (نجوم)[2] هناك ليس الثوب من نوع (نجوم) بل نار. كأنه يقول للشباب، طبعاً الشباب يكونون حريصين جداً على ثياب التفصيل من أجل أن يبدو جميلاً أمام الآخرين، يعرض عن ذكر الله، وهو يعرض عن مجالس الإرشاد، عن مجالس الهداية، يعرض عن كتاب الله، يعيش في أجواء من العشق، والحب، واتباع الشهوات، فهو من يبحث عن ثياب تفصيل ليبدو شكله جميلاً، فيعرف أنه قد يكون من أولئك

---

(١) التَّرْوِيشَة: الاغتسال.

(٢) نجوم: نوع من أنواع الأقمشة الرجالية المشهورة في ذلك الوقت.

الذين تُفصل لهم ثياب في جهنم ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أليس هذا يعني تفصيلاً؟ في موضع آخر قال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ لم ينس القرآن الكريم أن يتحدث حتى ثياب أهل النار، كل شيء ذكره.

هذه التفاصيل قارنْ بينها وبين أن تَطَّلِع على تقرير عن مختلف الأسلحة التي تمتلكها أمريكا ـ مثلاً ـ أو إسرائيل (صواريخ بعيدة المدى) (صواريخ تحمل رؤوساً نووية) (قنابل هيدروجينية) (قنابل ذرية) قنابل كذا، وأسلحة متعددة. أليست كلها من تفاصيل ما يمتلكون من وسائل التعذيب للآخرين؟ قارنْ بينها وبين التفاصيل التي عُرضت في القرآن الكريم عن جهنم، ستجد أن هذه هي قد ما يتمناها أهل جهنم، يتمنون في جهنم أن يكون عذابهم من نوع ما تمتلكه أمريكا من أسلحة، وسيعتبرونه حينئذٍ تخفيفاً عظيماً، وسيشكرون الله، ويشكرون زبانية جهنم، أن قدموا لهم هذا العذاب الخفيف، اللطيف، البسيط، ويَسْلمون ذلك العذاب الشديد في جهنم.

لا شك أن من هو في جهنم ويقال له سنعذبك بما كان لدى الأمريكيين في الدنيا لرآه هيّناً، لرآه هيّناً، وهو هذه الأشياء التي نخاف منها في الدنيا، تصنعه أمريكا، وتراه في التلفزيون عندما ينطلق الصاروخ هذا، أو ترى نماذج من أسلحتهم، أو ترى عروضاً عسكرية من عساكرهم هم أو أي دولة أخرى، فتخاف، أو يكلمونك عن فرق من الجنود تتدرب تدريباً خاصًّا (كمندوز) أو من يتدربون في معسكرات العمليات الخاصة، أولئك ليسوا بشيء أمام خزنة جهنم، خزنة جهنم مدربون تدريباً عالياً على تعذيب الناس، ملائكة غلاظ شداد كما قال الله عنهم: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾(التحريم:٦) وبأيديهم مقامع من حديد تلتهب ناراً، كلما حاولت أن تقترب من باب من أبواب جهنم يضربونك بها. هؤلاء هم من يجب أن تخاف منهم، لا أن تخاف من جنود العمليات الخاصة أو من جنود (الكمندوز) أو من أي جندي آخر، باستطاعتك أن تقتله، باستطاعتك أن تضربه كما يضربك، وليس بيده كتلك المقامع التي بيد زبانية جهنم.

ألم تتعود الدول على أن تعرض أمام شعوبها فِرَقاً من الجنود، تدربوا تدريباً خاصًّا؛ ليرعبوا الناس بهم؟ ارجع إلى القرآن الكريم واستعرض الفرق الخاصة المدربة في جهنم، فمن الذي يجب أن تخاف منه زبانية جهنم، أم جنود العمليات الخاصة و(الكمندوز) وغيرها من الفرق الأخرى؟

يقول عن أهلها أيضاً: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾(الحج:٢٢) قد تسجن في الدنيا في سجن، ولا ترى أنك في كل ساعة تسعى إلى باب السجن لتحاول أن تخرج منه، قد تكون في زنزانة، أو في غرفة فتستقر فيها، لكن هنا نار ملتهبة، نار شديدة، جسمك كله يلتهب ناراً وتشرب صديداً، وتشرب حميماً، فيقطع أمعاءك، يأتي الفرق داخل جهنم من زبانيتها يصبون فوق رأسك الحميم لأنه هنا يقول: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾(الحج:١٩) أنت لا تحاول في جهنم أن تغرف من مائها الساخن وتصبه عليك لكن هناك من يمسكك ويصب الحميم من فوق رأسك (يُصَبُّ، فعل مبني للمجهول) أي أن هناك طرفاً آخر هو يصُب الحميم من فوق رأسك.

هناك داخلها ملائكة غلاظ شداد، يمسكك ويصب من فوق رأسك الحميم، ويشرِّبك الصديد رغماً عنك ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾(إبراهيم:١٧) في السجون هنا في الدنيا يقدمون لك طعاماً ويقدمون لك شراباً، أجواء الزنزانة، أجواء السجن كلها باردة، بل قد ترى نفسك بحاجة إلى لحاف، وأنت لا تحاول في كل لحظة أن تتجه نحو باب السجن لتخرج منه.

يتمنى الإنسان لو كانت جهنم مثل هذه السجون لرآها أهلها نعمة كبيرة أن تكون جهنم وإن كانوا خالدين فيها أبداً وهي من نوع سجون الدنيا، وفيها وسائل التعذيب التي في السجون هنا في الدنيا لكانت هينة، لكانت هينة. هنا أهل جهنم يسعى كل واحد منهم يتجه نحو بابها، يريد أن يخرج، هذا نفسه عذاب، يحاول حتى يصل نحو الباب فيجد أبواباً موصدة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾(البلد:٢٠) مغلقة محكمة الإغلاق ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾(الهمزة:٩) من ورائها عمد: أعمدة من الحديد، من الجانب هذا إلى الجانب هذا، لا يستطيع أبداً أن يحركها، لا يستطيع أهلها أبداً أن يفتحوها، وهناك بجانب الأبواب من زبانيتها الغلاظ الشداد من يضربونهم بمقامع من حديد.

أليس هذا هو تعذيب رهيب؟ حالة من الغم الشديد، وهل هو شهر؟ هل هو سنة؟ لنقول لأنفسنا نحن عندما

نفكر في أي عمل فتظهر أمام أذهاننا قائمة من السجون، لقد ترى أطول عقوبة أن تسجن عشرين سنة في سجن عادي، أما جهنم فليست سنة ولا سنتين، ولا مائة سنة، ولا ألف سنة، ولا مليار سنة، مليارات السنين لا تنتهي وهذا هو الشيء الذي يرعب الإنسان، والذي يجب أن نخاف منه جميعاً: الخلود في جهنم.

قالوا إنه لو قيل لأهل جهنم: إنكم ستبقون فيها، وفي الأرض ما بين السموات والأرض مليئ بحبات الخردل، وفي كل سنة يأتي طائرٌ يأخذ حبة واحدة منها ـ حبات الخردل حبات صغيرة قد تكون كحبات الدخن أو أصغر ـ وما بين السموات والأرض ممتلئ حبات خردل، ويقال لهم: ستبقون حتى تنتهي هذه الحبات الخردل لفرحوا، لفرحوا. وتصوّر أنت كم سيتسع مثل هذا المجلس من حبات الخردل؟ كم مليارات؟ تصوّر أنت كم يتسع هذا الفضاء ما بين السموات والأرض من حبات الخردل؟ وفي كل سنة فقط في كل سنة يأخذ طائرٌ حبة واحدة؛ لفرحوا، لأنهم حينئذٍ سيعلمون أن هناك نهاية، أن هناك نهاية لهذا العذاب، وليكن مليارات، مليارات السنين.

أليس هذا الشيء مزعجاً، شيء مرعب جداً؟ إذا ما قيل للواحد منا: أنت ستسجن ثلاث سنين، قد يخرج من دين الله ويكفر بالإسلام خوفاً من أن يسجن ثلاث سنين، وقد يتخلف عن أي عمل هو مما ينجّيه من جهنم خوفاً من أن يسجن سنة واحدة، أما جهنم فالخلود فيها في حد ذاته هو الشيء الذي يجب أن يزعج كل إنسان مسلم.

وتكرر الحديث عن الخلود فيها: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(النساء:١٦٩) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾(آل عمران:٨٨) تكرر كثيراً. والخلود في جهنم، الزيدية هم الطائفة ـ أعتقد ـ الوحيدة الذين يؤمنون بما نص عليه القرآن الكريم من خلود أهل النار في النار، أما الآخرون فهم من حاولوا ـ لأن القضية مزعجة جداً ـ من حاولوا أن يبحثوا عن أي مخلص، عن أي مخرج من الخلود في جهنم؛ ليطمئنوا أنفسهم نوعاً ما.

فإذا كان الزيدية هم أصحاب هذه العقيدة المنسجمة مع القرآن الكريم، مع تصريحات آيات القرآن الكريم بالخلود في جهنم، وهم من يجادلون الآخرين. ألسنا نحن من نجادل الآخرين، نقول: أبداً، لا، ليس هناك شفاعة للمجرمين، أبداً ليس هناك أحدٌ سيخرج من جهنم. ألسنا من نجادل الآخرين؟ ولكننا لو رأينا أنفسنا وواقعنا لرأينا أنفسنا أحوج الناس إلى جزء من هذه العقيدة لو كانت صحيحة، ولوجدنا أنفسنا نحن من يجب أن نخاف، ومن نكون أكثر الطوائف الإسلامية جهاداً في سبيل الله خوفاً من جهنم، وعملاً على إعلاء كلمة الله، ووقوفاً في وجوه أعداء الله؛ لأننا من نقول لأنفسنا ونعتقد ـ وهي العقيدة الصحيحة ـ : إن جهنم لا أحد يخرج منها، وإن المجرم لا يمكن أن يشفع له الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). فما بالنا نحن نرى أنفسنا أقل الطوائف اهتماماً؟ أضعف الطوائف أثراً؟ أبعد الطوائف عن أي عمل فيه لله رضاً؟!

الآخرون نراهم يجاهدون، الإخوة الشيعة من (الاثنا عشرية) يقاتلون، يجاهدون، ويفجرون أنفسهم في عمليات استشهادية، وهم من في عقائدهم هم قضية الشفاعة، هم مَن ضمن عقائدهم، أو عند الكثير منهم القول بالشفاعة للمجرمين، ليست عقيدتهم كعقيدتنا. إذاً فما بالهم هم يجاهدون، يقاتلون، يضحّون، يستبسلون، ونحن من كأن معنا من الله عهد، كما قال لليهود عندما قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ هل عندكم عهد؟ هل عندكم ضمانة أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة؟ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٨٠) بل أنتم تقولون على الله قولاً افتراءً عليه ﴿بَلَىٰ﴾ يؤكد من جديد أن هذه العقيدة باطلة ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٨١) هم فيها خالدون.

هل نحن الزيدية لدينا عهد من الله؟ فما بالنا، كلنا، علماؤنا، عبادنا، وجهاؤنا، أفرادنا، طلابنا، كلنا قاعدون وكلنا نرى أنفسنا أنه لا أثر لنا في هذه الحياة، وليس لنا عمل في مجال نصر دين الله، في مجال إعلاء كلمته، في إصلاح عباده، في محاربة المفسدين في أرضه؟! هل هناك عمل يُذكر؟ كأننا نمتلك عقيدة أنه لا موت، ولا بعث، ولا حساب، ولا جنة ولا نار ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ الساعة: القيامة، البعث ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾(الفرقان:١١) ناراً تستعر، تتلهب، تتوقد ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ تبدو هي مشتاقة لأعداء الله، تلتهمهم ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هل لجهنم أعين ترى بها أولئك، أم أنه تصوير؟ أنها لما كانت هي محط غضب الله فإنها هي من تتلهف شوقاً إلى أن تلتهم أعداء الله، فكأنها هي التي تبحث عنهم ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ

﴿بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾(الفرقان:١٢) تستعر، تلتهب لشدة تغيظها وغيظها على أعداء الله ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ صوت هو صوت المتغيظ الذي يمتلئ غيظاً على الطرف الآخر، وزفيراً، الزفير: هو صوت الإنسان عندما يخرج الهواء من فمه قويًّا، والشهيق هو عودة النفَس بقوة إلى الداخل.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ﴾ مصفدين بالقيود، هناك العذاب، هناك الحسرات ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾(الفرقان:١٣) واثبوراه، واهلاكاه، معناه دعوا بالهلاك. يرون أنفسهم في أماكن مضيقة من جهنم وهم مقيدون تتحول قيودهم إلى نار، وأجسادهم إلى نار، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ومن فوقهم، ومن تحتهم طبقات من النار، يدعون هنالك بالثبور (واثبوراه) معناها: واهلاكاه. يعني: ما أسوأ ما نحن فيه! نعوذ بالله.

ويقول أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾(فاطر:٣٦،٣٧) يصطرخون صراخاً شديداً، صراخ الألم، صراخ الحسرة ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ماذا يقال لهم؟ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ العمر الذي يكفي أن يتذكر فيه منكم من أراد أن يتذكر فيعمل فيه الأعمال الصالحة التي أنتم الآن تطلبونها، هناك في الدنيا عُمرتم طويلاً أعماراً طويلة، وهي أعمار كانت كافية، تكفي من كان منكم يريد أن يتذكر فيعرف أن الأعمال الصالحة هي الوسيلة لنجاته من جهنم فينطلق فيها. من يتذكر فيما قُدم إليه من تذكير الله من القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ جاءكم من ينذركم في الدنيا ﴿فَذُوقُوا﴾ لا خروج، ولا تخفيف، ولا رحمة ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(فاطر:٣٧) لن تجدوا هناك من ينصركم.

نار جهنم ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ فيكون الموت راحة، الموت الذي يخاف الناس منه هنا في الدنيا فيقعد، لا يقول كلمة الحق خوفاً من الموت، لا يقف موقف الحق خوفاً من أن يموت، مع أنها احتمالات، كم في التاريخ من شواهد لأبطال قاتلوا واستبسلوا، وتعرضوا للموت، وخاضوا غمار الموت، ولم ينلهم شيء، ماتوا على فراشهم، وهم من كانوا يريدون أن يموتوا في ميادين القتال، أي أن الموت هنا محتمل، في المواقف، في ميادين الجهاد هو لا يزال احتمالاً فقط، من هو ذلك الذي يقطع بأنه سيموت حتماً إذا ما قال كلمة حق، أن هناك من سيميته لا شك، أن هناك من سيميته لا شك إذا وقف موقفاً صحيحاً، من هو ذلك من الناس الذي يمكن أن يقطع بهذا؟ وعلى الرغم من ذلك من أنها مجرد احتمالات نخاف، نقعد، ونتواصى بالخنوع، ونتواصى بالذل بدلاً من التواصي بالحق والتواصي بالصبر عليه. هناك في جهنم ـ هذا الموت الذي يخاف الناس منه في الدنيا فيصل بهم الخوف منه إلى دركات جهنم وإلى هذا العذاب الشديد ـ سيصبح نعمة كبرى يتمنونها لو كان بالإمكان أن يحصلوا عليها.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾(النبأ:٤٠) يتمنى أهل جهنم أن يموتوا، يتمنون أن يموتوا؛ وحينئذٍ سيرون الموت ولو كانت سكراته شديدة، ومزعجة، أقسى أنواع الموت لديهم لرأوها نعمة، لرأوها نعمة كبيرة؛ لأنهم سيصلون إلى حالة لا يحسون معها بألم ذلك العذاب الشديد جهنم، فهم لا يقضى عليهم فيموتوا، فيكون الموت راحة لهم، لو كان يمكن أن يموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، لا يخفف لحظة واحدة، لا يخفف يوماً واحداً ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾(غافر:٤٩) يقول أهل النار لمالك خازن جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ يوماً واحداً من العذاب، ولا يوم واحد، يوم واحد في مليار سنة على الأقل، لا يقبل ولا يوم واحد. أليس هذا هو ما يخيف الإنسان؟ أليس كل شيء في هذه الدنيا مما يخوفنا به الآخرون يبدو هيّناً، ويبدو نعمة عند أهل النار، لو كان بالإمكان أن يكون عذابهم كمثله؟ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾(فاطر:٣٦) لأن الله لا يظلم أحداً، لأنهم هم من كانوا في الدنيا كافرين بنعم الله، كافرين بآيات الله، صادين عن سبيله، غير مستجيبين له، هكذا يكون جزاؤنا لكل كفور.

نحن هنا نسمع في هذه الآيات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾(فاطر:٣٦) وكأنه فقط أولئك الكافرون، أما نحن من قد أسلمنا ـ ولو انطلقنا في أعمال كأعمال الكافرين ـ فإننا بعيدون عن هذا التهديد، وعن هذا الوعيد. هل هذا صحيح أم لا؟ ليس صحيحاً أنه فقط من يحملون اسم كافر هم وحدهم من سيعذبون؛ لأن الكافر لا يعذب على اسمه، لأن

اسمه كافر، يعذب على أعمال، أعمال يعملها: إعراض عن دين الله، صد عن سبيل الله، عمل في سبيل الطاغوت.

أولم يكن في المسلمين من كانت أعمالهم أسوأ من أعمال أولئك الكافرين؟ بلى هناك في المسلمين من يظلم، في المسلمين من يصد عن سبيل الله، في المسلمين من يقتل القائمين بالقسط من عباد الله. فهل أن الله سبحانه وتعالى إنما يعذب أولئك على أعمالهم لأن اسمهم كافرون، أما أنت متى حملت اسم إسلام فلن تعذب؟ سيصبح الحال حينئذٍ يصبح الإسلام عبارة عن رخصة للمجرمين، أنت تريد أن تحصل على ترخيص لترتكب كل الجرائم ثم لا تعذب؟ إذاً قل: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) يصبح الإسلام هكذا، ويصبح الكافرون كل واحد منهم أحمق. أنت لم تسلم لأنك لا تريد أن تبتعد عن هذه الأعمال التي أنت عليها. أسلم إذاً وبإمكانك أن تستمر عليها، ثم عندما تقدم في يوم القيامة سيشفع لك محمد وتدخل الجنة. يصبح الإسلام حينئذٍ وسيلة أمن للمجرمين، وبطاقة ترخيص للمجرمين.

فبدلاً من أن تكون مجرماً، تتهدد بهذا التهديد الشديد، ويواجهك المسلمون بالاحتقار، ويواجهونك بسيوفهم في الدنيا، كن مجرماً محترماً، أسلم لتكون مجرماً محترماً، أليس هذا هو إسلام من يقولون بأن الشفاعة لأهل الكبائر؟ الإنسان هو الإنسان، رغباته، شهواته، مطامعه، هو هو، سواء كان يهودياً، أو نصرانياً، أو وثنياً كافراً، أو مسلماً.

انظر إلى واقع الناس في هذه الدنيا الآن في هذا الزمن، أليس البشر فيها من طوائف كثيرة؟ اليهودي والنصراني، والوثني، والمسلم، والمسلمون باختلاف طوائفهم؟ انظر إلى واقعهم كناس رغباتهم واحدة، شهواتهم واحدة، مطامعهم واحدة، الإنسان هو الإنسان، الجرائم التي تنطلق منك وأنت كافر هي نفسها إذا ما سرت وراء شهواتك هي نفسها التي ستنطلق منك وأنت مسلم، تنطلق من اليهودي، والنصراني بشكل واحد سواء.

إذاً فلماذا مجرمون يعذبون، ومجرمون لا يعذبون؛ لأنهم يحملون أسماء مختلفة؟ هل هناك بين الله وبين أحد قرابة، أو الله سبحانه وتعالى يداهن أحداً، أو يكيل بمكيالين، كما نقول عن أمريكا؟ الناس هنا يقولون عن أمريكا: إنها تكيل بمكيالين، إذا ما انطلق الإسرائيلي ليقتل الفلسطيني لا تلتفت إليه، ولا تدينه، وإذا ما اتجه الفلسطيني ليقاوم ويدافع عن نفسه المحتل لأرضه قالوا: إرهابي. قالوا: هذا كيل بمكيالين. لماذا لا تعاملهم سواءً على الأقل فتقول: هذا عنف، وهذا عنف، وهذا إرهاب، وهذا إرهاب؟ حينئذٍ ستصبح القضية هكذا: أن الله سيكيل مع الناس بمكيالين، فمجرمون ينطلقون في شتى الجرائم، وكبارها، يظلمون عباد الله، ويصدون عن سبيل الله، ويحرفون دينه، وينشرون الفساد في أرضه، ويهتكون أعراض عباده؛ ثم سيشفع لهم محمد.

الكافر ماذا يعمل إذاً؟ هل هناك نوع آخر لدى الكافر؟ إنما يعمل هكذا عندما نقول: إن الزنى محرم، هو محرم، لكن لماذا يعذب عليه الكافر ولا يُعذب عليه من اقترفه ممن يحمل اسم إسلام؟! أليست عملية واحدة، وجريمة واحدة عند اليهودي، والنصراني، والكافر، والمسلم؟ هي فاحشة، الظلم هو نفسه، ليس هناك نوع من الظلم لا يمكن أن يصدر من الكافر، أو لا يمكن أن يصدر من المسلم، الأعمال واحدة التي نريد أن نفهمها: أن الناس كناس على اختلاف العناوين اتجاهاتهم واحدة، وجرائمهم، ومطامعهم، وشهواتهم، ومقاصدهم واحدة، فلماذا ناس يعذبون وناس لا يعذبون على جرائمهم؟ يصبح الدِّين حينئذٍ بدلاً من أن يكون ديناً للحياة، بدلاً من أن يكون ديناً لمكافحة الجريمة، بدلاً من أن يكون ديناً كما قال الله عنه ليزكي النفوس، ليطهرها يصبح عبارة عن رخصة لكل من يريد أن يستمر في إجرامه.

فبدلاً من أن تبقى مستحقاً للعذاب الشديد، أسلمْ. والإسلام مجرد قول، ثم ابقَ على أعمالك، وحينئذٍ لا جهنم، وحينئذٍ ستدخل الجنة مع المؤمنين، وسيشفع لك محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). ألم يصبح الإسلام حينئذٍ عبارة عن رخصة؟ ألم يصبح ديناً بدلاً من أن يكافح الجريمة يشجع عليها؟ بدلاً من أن يخوّف النفوس ليزكيها، ليطهرها بتشريعاته وهديه، هو من يؤمِّن تلك النفوس لتغرق في مستنقع الرذيلة والجريمة؟

فعلاً سيصبح الدِّين هكذا؛ ولهذا الله سبحانه وتعالى في القرآن تحدث عن بني إسرائيل بأن كثيراً من جرائمهم بما فيها قتل الأنبياء، وبيع الدِّين، وبما فيها استحلال أموال الآخرين عندما يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(آل عمران:٧٥) قال عمَّا يدفعهم إلى ذلك هو: أنهم يعتقدون أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة. أي: أن هذه العقيدة تشجع على الجريمة، وتعمل على أن تغرق النفوس في مستنقع الجريمة والرذيلة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(آل عمران:٢٤) ألم يعلل بأن عقيدةً كهذه هي وراء الجريمة، وهي عقيدة تدفعك إلى الإجرام.

إذاً فليست من دين الله؛ لهذا قال: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ خدعوا أنفسهم بالكذب، وفعلاً لا تزال عقيدة قائمة عند اليهود إلى الآن.

بعض الناس قد يسأل هل يرى اليهود أنهم إلى النار؟ يرى أن النار لن تمسه إلا أياماً معدودة، فكل ما يعمله (شارون) لو رأى نفسه مجرماً، لو رأى نفسه مستحقاً أن يدخل النار، فهو عندما يدخلها قد يبقى فقط سبعة أيام مقابل سبعة آلاف سنة هي عمر الدنيا، أو على أكثر قول لديهم سيبقى الواحد منهم أربعين يوماً في جهنم على عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، ويخرج، وحينئذٍ لا يكترث بما يرتكب في الدنيا.

هي العقيدة التي كانت وراء ظلمنا نحن المسلمين من داخل المسلمين أنفسهم على أيدي الجبابرة من الطواغيت، الخلفاء، الملوك، الحكام، الرؤساء، والسلاطين بمختلف العصور، وهناك من علماء السوء من يؤمنهم أن محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) سيشفع لهم مهما كانوا مجرمين، فينطلقون لظلم الناس لتسفك دماؤهم، وينطلقون للصد عن دين الله، وينطلقون فيه وهم آمنون من جهنم، أنهم لن يدخلوا جهنم، واليهودي يرى أنه سيدخل جهنم، وسيبقى أياماً معدودة، وأما صاحبنا فإنه يرى أنه لن تمسه النار إطلاقاً.

اليهود قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أما نحن المسلمون فقناهم في هذا القول، فقلنا: ولا أياماً معدودة، ولا لحظة واحدة، سيأخذ بيدك محمد، ويمنحك وسام الشرف، شفاعته، فتدخل مع أولئك المؤمنين الجنة. أليس هذا قولاً أبعد من قول اليهود؟ أليست عقيدة أسوأ من عقيدة اليهود؟ هي نفسها وراء ظلم الكثير من الخلفاء والملوك، والرؤساء في كل عصر من العصور، هناك من أمنهم.

القرآن الكريم تنزلت كثير من آياته في مكة، وعندما تسمع كلمة: (كفر) وكلمة: (شرك) فلأن من في الساحة وهو يخاطبهم، ويعمل على أن ينقلهم من الوضعية التي هم فيها، هم مشركون، كافرون، فتأتي العبارات على هذا النحو، ولأن الله يريد من عباده ـ وهو الشيء البديهي لو فهمناه ـ أنه عندما ترون هذا الوعيد الشديد لأولئك فهل تفترضون أننا نريد أن ننقلهم من اسم ليحملوا اسماً آخر، ثم ليبقوا على ما هم عليه، وحينئذٍ فلا يعذبون؟

أنت اسمع عندما ترى الآيات الكثيرة تتهدد الكافر، انظر لماذا الكافر؟ هل لأن اسمه كافر (ك ا ف ر) أم لأنه على حالة هي تحول بينه وبين أن يتقبل هدي الله؟ لماذا المشرك؟ ولماذا تلك الهجمة الشديدة على أشخاص يعبدون أحجاراً وهم يعلمون، والله يعلم، ورسوله يعلم أن تلك الحجر لا تستطيع أن تعارض الله، ولا أن تكون نِدًّا لله، ولا أن تكون كفؤاً لله، ولا أن تنازع الله في ملكه، لماذا هذه الهجمة؟ لأن هذا الشخص الذي يعبدها ولا يؤمن بالله كإله واحد، هو نفسه لن يكون لديه قابلية أن يتقبل هدي الله، سيبقى معرضاً عن تقبل هدي الله؛ الشرك لهذا، إضافة إلى أنه قول باطل، تأثيره على صاحبه أنه إذا أنا لست مؤمناً بوحدانية الله، فلن أؤمن برسوله، ولن أؤمن بكتابه، وحينئذٍ يكون واقعي أنني معرض عن هدي الله، بل سينطلق ذلك المشرك إلى ميادين القتال للصد عن سبيل الله.

فالمشكلة الأساسية في الشرك بالنسبة لصاحبها: هو أنه على وضعية تجعله معرضاً عن هدي الله، وصادًّا عن سبيله. فهل الإعراض عن دين الله وهديه، والصد عن سبيله غير مسموح هنا ومسموح هنا؟ هو نفسه يصدر ممن يحمل اسم إسلام أليس كذلك؟ الكثيرون يصدون عن سبيل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ أليسوا علماء دين أم مشركين؟ علماء دين ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣٤).

فأولئك الذين يقولون: (هذا تهديد للكافرين، لاحظ هو يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويقول: ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ نحن لسنا كفاراً ولا مشركين) طيب ما الذي تغير لدينا؟ أنت تعتبر أن مجرد تغيير الاسم هو كل شيء؟ إن الله ينظر إلى الأعمال، وليس إلى مجرد الأسماء، ينظر إلى الأعمال، وينظر إلى القلوب. نقول: هؤلاء الكافرون ما هي المشكلة لديهم؟ لأنهم هكذا: صادون عن سبيل الله؛ ولهذا تعرّض القرآن الكريم ـ عندما تتأملون آياته ـ تعرّض بالتفصيل لأعمال المشركين، ألم يقل في بعضها: ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾(فصلت:٧) ألم يقل في بعضها

إنهم﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(الأعراف:٤٥)؟ ألم يقل في بعضها: إنهم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾(النساء:٧٦)؟ هو يتعرّض بالتفصيل لأعمال الكافرين، ولأعمال المشركين، وأنها هي الأعمال الممقوتة، وإنما مسألة الشرك هي نفسها وراء أن يكونوا على هذه الحالة، فيتوجه الكلام كثيراً إلى الشرك ليقلعه من نفوسهم؛ لتصبح تلك النفوس قابلة لأن تهتدي بهدي الله، ولأن تبتعد عن الصد عن سبيله، ولأن تلتزم بدينه، فيقلع الشرك من قلوبهم، يقلع الشرك من أذهانهم، وتقاليدهم وأفكارهم؛ لآثاره لأنه معلوم عن الله سبحانه وتعالى أنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وكل هديه يتوجه إلينا نحن لأننا نحن المحتاجون إليه، يتوجه إلى أنفسنا، ولأن كل عمل باطل هو فساد علينا نحن، هو ضد مصالحنا نحن.

فعندما يأتي ليتحدث عن الشرك والكفر، ليس لأنه أصبح يخاف من ذلك الصنم، أو أنه إذا تجمع الآلاف حول ذلك الصنم سينازعه هذا الصنم في ملكه، إنما ليبعد هؤلاء عن عقيدة جعلتهم يبتعدون عن هدي الله، وجعلتهم ينطلقون في الصد عن سبيله، وجعلتهم بعيدين عن التخلق بالأخلاق التي أراد أن يتخلق بها عباده الذين يسيرون على هديه.

إذاً فكل من صد عن سبيل الله، كل من ابتعد عن دين الله، كل من أعرض عن هدي الله، وإن كان يحمل اسم مسلم، حكمه حكم أولئك. وهذه قضية مفروغ منها في القرآن الكريم، مفروغ منها؛ لأنه من غير الطبيعي، ومن غير المقبول أن تفترض أن المسألة إنما هي مجرد تغيير اسم، فتقول: أولئك فقط لأن اسمهم (كافرين) أما نحن فلو انطلقنا في الأعمال نفسها التي تصدر منهم فإننا قد أصبحنا مؤمّنين من عذاب الله، هذا شيء غير طبيعي.

الله البشر كلهم عبيده، وهو رب العالمين جميعاً، ولن يكيل بمكيالين معهم، لن يعذب هذا المجرم على أعمال هي نفسها التي لا يعذب عليها شخصاً آخر صدرت منه، وحالته وموقفه حالة هذا الشخص الآخر. لا يمكن، إلا إذا كان هناك توبة، والتوبة ألم يتوجه الأمر بالتوبة إلى المسلمين؟ لماذا التوبة؟ لو أن المسألة هكذا مفروغ منها أن الكلام كله حول الكافرين، حول المشركين أما نحن فقد أسلمنا لما كنا بحاجة إلى توبة، إذاً فلماذا التوبة؟ التوبة لا بد منها؛ لأنك أنت أيها المسلم فيما لو اقترفت عملاً من أعمال أولئك ستعذب، فهذه هي التوبة ثبْ.

والتوبة معناها: الإقلاع عن المعصية، الرجوع إلى الله، الندم على ما صدر من الإنسان من تقصير، من تفريط في جنب الله، من تقصير في الأعمال التي تُرضي الله سبحانه وتعالى، ما حدث منه من معاصي لا بد أن يتوب منها، وإذا لم يتب فلا فرق بينه وبين ذلك الشخص الآخر. ألم يقل عن المنافقين: إنهم في الدرك الأسفل من النار؟ ولا تصدقوا أن المنافقين هم كلهم من يُبطن الكفر ويظهر الإسلام، بل إن في المنافقين من ذكر الله عنهم بأنهم في واقعهم معترفون، مؤمنون كإيمان أي واحد منا بأن الله هو رب العالمين، وهو الإله وحده، وأن القرآن من عنده، وأن محمداً رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). ألم يقل هو: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾(التوبة: ٦٤)؟ ألم يقل هكذا؟ يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بل هم يخافون؛ لأنهم يعلمون أن الله عليم بذات الصدور، فهو يعلم ما يسرونه في أنفسهم فيخافون أن تتنزل سورة تفضحهم، أي هم مؤمنون بالقرآن أنه من عند الله، ومؤمنون بأن هذا الرجل هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي يتنزل عليه القرآن، ومع هذا قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(النساء:١٤٥).

قد يكون هناك فئة، فئة قليلة من المنافقين هم من قد يقال عنهم: إنهم في واقعهم مبطنون للكفر، أي هم غير مؤمنين بالله، ولا مؤمنين بكتابه، ولا مؤمنين برسوله، إنما ألجأتهم الظروف إلى أن يتلونوا خوفاً على أنفسهم، هذه النوعية من المنافقين إنما تكون في فترات محدودة، في الفترة التي تكون الغلبة فيها لجانب الإسلام، لجانب الحق فيرى كفار أنفسهم مضطرين إلى أن يتمظهروا بالإسلام؛ من أجل أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

لكن تجد المنافقين هم من كانوا كثيرين في المدينة، وهم من أهل المدينة، ومن غير أهل المدينة، وهم من قال عنهم: إنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا هم مع المؤمنين، ولا هم كفار مع الكافرين، هم يتلونون، يظهر نفسه للكافرين وكأنه معهم، ومتى ما كانت الغلبة للمسلمين أظهر نفسه أنه معهم، وتملق لهم، وأظهر أنه واحدٌ منهم، يقول عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ بل وجدنا القرآن الكريم يتوعد بالعذاب الشديد، بالعذاب العظيم لمن قتل مؤمناً متعمداً، يتوعد بالخلود في النار لمن لم يلتزم بحدود الله في المواريث في (سورة النساء) يتوعد، والمواريث تخاطب من؟ أليست خطاباً للمسلمين؟ يتوعد بالعذاب، والخلود في جهنم لمن لا

يقف عند حدود الله ويلتزم بما حدده الله سبحانه وتعالى في قضية المواريث وحدها "خَلِّي عنك" أشياء كثيرة أخرى. هل من المعقول أن يكون الصد عن دين الله مسموح للإنسان الذي يحمل اسم إسلام؟ وهل معقول أن يكون الإعراض عن هدي الله مسموح لمن يحمل اسم إسلام؟ ستصبح كلمة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) عبارة عن بطاقة تضعها في جيبك، ثم تنطلق إلى أسوأ مما كان عليه المشركون والكافرون في أعمالهم.

وحينئذٍ سيكون هذا الدِّين رخصة لظلم الناس، ورخصة لتدنيس النفوس، تنطلق أنت لتضل عباد الله، من الذي سمح لك بهذا؟ هو الدِّين، هو الذي أمنني؛ لأن بإمكاني أن أنطلق في مجال كهذا ثم لن أُعذب ولن أخلد في جهنم، بل لن تمسني النار إطلاقاً. وهذا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

وعندما تقرأ في بعض التفاسير فيقول لك: هذه الآيات هي تتحدث عن كافرين، هي تتحدث عن مشركين فهي آيات تعني أولئك، أما نحن فلا، نحن حملنا اسم إسلام، وسيشفع لنا رسول الله، فاعرفْ أنّ هذا غرور، وأن هذا خداع، وسيكون واقع من يعتقدون هذه العقيدة كما حكى الله عن بني إسرائيل: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(آل عمران:٢٤) هذه افتراءات افتروها أناس سابقون وقدموها لنا ونحن قبلناها منهم، وبالطبع لا ينفق شيء من الباطل إلا إذا ما حمل اسم (دين) وقدم إلينا باسم (دين) فيقال: عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويكون ذلك الحديث في بطون المجاميع الحديثية التي يعتبرونها هي مجاميع السُّنة، ألم يقدم الباطل باسم دين؟ هكذا ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وكما أسلفنا: أن القرآن تحدث عن جهنم، ووصفها بشتى الأوصاف وكذلك تحدث عمن داخل جهنم سواءً كان يحمل اسم (مسلم) أو يحمل اسم (يهودي، أو نصراني، أو مشرك). أو كيفما كان.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ بعد أن ذكر ما أعد الله سبحانه وتعالى للمتقين من النعيم العظيم، قال بعده: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً﴾ ـ أي: ضيافة وإكراماً ـ ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾(الصافات:٦٢ـ٦٨) كما تحدث عن الفاكهة الكثيرة التي ليست كما قال عنها: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾(الواقعة:٣٣) في الجنة فواكه كثيرة، العنب والرمان والتفاح، ومختلف الفواكه التي قد لا نعرف كثيراً منها.

هناك في النار أيضاً شجرة هي فاكهة أهل النار نفس اسمها نفسه بشع (زقوم) أليس اسماً مزعجاً؟ اسم غير مقبول، وهكذا بعض المفردات تكون هي غير مقبولة، حتى لو حاولت أن يكون اسمها لشيء جميل فالاسم لا يركب على هذا المسمى، اسمها بشع، وهي شجرة حقيقية، والله بقدرته سبحانه وتعالى هو القادر على أن يجعل في النار أشجاراً تتغذى على النار، وتثمر ناراً، وتورق ناراً، ليس هناك ما يعجز الله سبحانه وتعالى، وإن كان الظالمون قد يجادلون في هذه: كيف شجرة في جهنم ونحن نعلم أن النار تحرق الأشجار؟!

من المعلوم أنه هنا في الدنيا يقال: إن بعض الحيوانات جلودها غير قابلة للاحتراق هنا في الدنيا. النار ألم يجعلها الله سبحانه وتعالى برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام) وهي نار قد ملؤوا بها وادياً تحرق الطير عندما يمر من فوقها، الله الذي خلق النار يستطيع وهو قادر على أن يجعلها برداً فلا تضر إبراهيم (عليه السلام) ويستطيع أن يخلق أشجاراً تنمو فعلاً تتغذى على النار كما تتغذى أشجار الدنيا على التربة، والماء، والنور، والهواء.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ تخرج هي، تنبت، أليس كثير من الأشجار هنا في الدنيا الناس هم الذين يزرعونها؟ أهل النار غير مستعدين أن يزرعوا شجرة الزقوم، لكن هي تخرج رغماً عنهم، تنبت لا تحتاج إلى مزارع ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ في أرض الجحيم نفسها. ﴿طَلْعُهَا﴾: ثمارها أيضاً بشعة ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ كل شيء في جهنم عذاب، وعذاب حتى معنوي أن تكون ثمرة تلك الشجرة التي هو سيضطر إلى أكلها، الجوع يكاد يميته فيضطر إلى أكل ثمار هذه الشجرة، ثمرة بشعة ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ العرب أنفسهم يتخيّلون رؤوس الشياطين بشعة، وإلا فنحن لا نشاهد رؤوس الشياطين، وقد تكون حقيقة رؤوس الشياطين شكلها بشع جداً.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من شدة الجوع يأكل رغماً عنه من هذه الشجرة الشديدة المرارة التي يقال كما روي في الأثر: إنه لو أن قطرة واحدة من هذه الشجرة ـ شجرة الزقوم ـ وقعت في الأرض لأمرّت على أهل الأرض معايشهم، شديدة المرارة جداً، وهي أيضاً نار تغلي، هي تغلي في البطن ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الإنسان هنا في الدنيا أليس يتعود على أن يشرب أثناء الطعام؟ يأكل زقومًا ثم يشرب حميماً بعده. كما قال أيضاً في آية أخرى يذكر فيها هذه الشجرة: إنها نار أيضاً ثمرها نار ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ كالزيت المحترق تغلي في البطن ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾(الدخان:٤٣ـ٤٦) كغلي الماء الساخن جداً.

لأنه هنا في الدنيا عادة ما يُضل الإنسان، وما يصرفه عن طاعة الله، ويصرفه عن مواقف الحق، هو ما يقدّم إليه من إغراءات من قبل الآخرين، والإغراءات طبعاً قد يكون كثير منها متعلق بقضية الأكل والشراب، وعندما يكون الإنسان نفسه يريد أن يتوفر له الطعام الجيد والشراب الجيد والسكن الجيد ولو كان على حساب دينه فليعرف أنه سيرى تلك متعة قصيرة تُنسى، عارضة في حياته نُسِيت ثم سيكون له طعام من هذا النوع.

عندما يأتي حاكم من الحكام يحكم بالباطل، عندما تقدم له (جالوناً) من العسل، عندما تقدم له خروفاً، عندما تنقله إلى بيتك وتقدم له غداءً دسماً، فيتعاطف معك فيضيع حق الآخرين مقابل ما أعطيته، نقول له هنا: أنت أضعت الدِّين، أضعت الحق مقابل طعام وشراب، أنت ستلقى طعاماً وشراباً سيئاً، وإذا كانت تلك وجبة واحدة فإنك ستأكل من ذلك الطعام البشع في اسمه، البشع في منظره، الذي هو يحرق البطن، ستأكله دائماً، دائماً، وجبة واحدة تبيع بها الحق، وجبة واحدة دسمة تبيع بها دينك، وجبة واحدة تدخل في موقف باطل؛ لأنه هنا قدّم لك غداءً دسماً وقدم لك عسلاً، هناك في جهنم ما يجب أن تتأمله، هناك زقوم، وهناك صديد، وهناك حميم.

كأن الله يقول لنا: إذا آثرتم هذا الطعام في الدنيا، وبعتم به دينكم، فإنكم ستجدون طعاماً سيئاً تأكلون منه دائماً دائماً، لا ينقطع أكلكم منه.

حينئذٍ يخاف الإنسان؛ لأن الله لرحمته عندما يذكر هذه التفاصيل هو من أجل أن نقارنْ نحن في الدنيا فنخاف لأنه لا يريد أن ندخل جهنم إلا إذا فرضنا أنفسنا على جهنم رغماً عنها، الله لا يريد لعباده أن يدخلوا جهنم، يهديهم، يذكرهم، يخوفهم، يعرض تفاصيل هذه النار؛ لأجل أن تقارن بين ما تسمع من تفاصيلها وبين ما يعرض لك في الدنيا، طعام وشراب هنا، هناك طعام وشراب، فقارن بينهما؛ حينئذٍ تجد بأن هذا الطعام والشراب الذي يقدّم لك في الدنيا ليس أهلاً لأن تبيع دينك به ثم يكون جزاؤك طعاماً وشراباً من هذا الطعام والشراب السيئ في نار جهنم.

هو لا يذكر هذه الأشياء لمجرد حكاية مشاهد، قصة (حزيّة أو وسيلة) كما نقول، بل لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن في ذكر هذه التفاصيل إذا ما تأملناها ما يخيفنا وما يردعنا، وسنجدها تفاصيل ماثلة أمام أعيننا كلما عرض علينا شيء من حطام الدنيا، نقول: لا، هذا الطعام لا أقبله لأن وراءه طعام الزقوم، هذا الشراب لا أقبله وإن كان عسلاً مصفى لأن وراءه الصديد والحميم، هذا الثوب، هذه (البدلة) لا أقبلها لأن وراءها ثياب من نار، وراءها سرابيل من قطران، وهكذا تجد في تفاصيل جهنم إذا كنت واعياً ما يجعلك تقارن في كل مسيرة حياتك عندما تتعرض للإغراءات من قبل الآخرين التي هي عادة تتعلق بقضية الشراب والطعام.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾(الزمر:١٦) أليست هذه مساكن؟ مساكن في النار على هذا النحو، السقف كله نار، والأرض كلها نار، وما حولهم كله نار، يتحدث حتى عمَّا يشبه المساكن؛ لأن من يريد لنفسه مسكناً جميلاً، يريد قصوراً فخمة، ويكون طامعاً فيها، قد يصل به طمعه إلى أن يحصل على مباني من هذه وإن كان مقابل دينه فيدخل في الباطل، ويؤيد الباطل، ويصبح صاداً عن سبيل الله وحرباً لأولياء الله؛ لأنه يريد مسكناً جميلاً، فليتذكر بأنه هناك في جهنم سيكون بدلاً من مسكنه ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾؛ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحديث عن ذلك هو لِتخويف الله لعباده ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(الزمر:١٦) خافوا أن تكونوا ممن لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.

متى ما اشتدت حرارة الشمس وهي من فوقنا وبعيدة جداً عنا ألسنا نهرب لنبحث عن الظل، أو تحمل (شمسية) أو أي شيء تقي به نفسك من حرارة الشمس؟ أما في جهنم ليس هناك ما تقي نفسك منه، حتى ما يبدو أمامك وأنت في جهنم وكأنه ظل هناك هو ظل خادع هو حميم، هو نار. يقال: إنه حتى في جهنم يتجمع دخان ويتراءى وكأنه ظلال، فينطلق وإذا كله نار، ذلك الذي يراه على شكل ظلال كله نار ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ فهذا هو الذي يجب أن نخافه، يُخوف الله، وهو إلهنا، وهو ربنا، وهو الرحيم بنا؛ لأنه لا يريد أن نقع في هذا العذاب.

لاحظوا كيف يعمل ملوك الدنيا الذين لا رحمة لديهم، هم من يريدون أن يعذبونا، وليس أن يبعدونا عن العذاب، فهم يخادعوننا حتى نقع في العذاب المهين، أليس كذلك؟

عندما يأتي الأمريكيون إلى اليمن فيقولون: نحن نريد أن نساعدكم على مكافحة الإرهاب، الإرهاب أنتم ستعانون منه، وهم يريدون أن يتمكنوا؛ ليسيطروا علينا ويذلونا، فيوقعونا في الخزي وفي العذاب المهين.

أليست أمريكا دولة ولها رئيس؟ قل هو ملك ذلك الشعب. هكذا يعمل على أن يخادعك ليوقعك في العذاب المهين تحت وطأة قدمه، أما الله ربنا سبحانه وتعالى فهو الذي هو على كل شيء قدير، فإنه رحيم بنا، يعمل على أن يخوفنا من عذابه؛ من أجل أن نبتعد عمَّا يؤدي بنا إلى عذابه، هذا هو عمل الناصح، عمل الرحيم بعباده.

ولذلك تجد أهل النار في الأخير يرون أن الله سبحانه وتعالى لم يكن من جانبه أي تقصير، وأن كل من يدخل جهنم سيرى نفسه جديراً فعلاً بأن يعذب فيها، وأن يصرخ بملء فيه فيها، أما الله فلا تقصير عنده، سيعرف أن رحمته عرضت عليه في الدنيا، ويعلم أن الله خوّفه في الدنيا، وأنه الذي كان يعرض عن تخويف الله، وأنه الذي كان يخاف ما لدى الآخرين أكثر مما عند الله، وهذه هي الحماقة أن نخاف ما عند الآخرين ولا نخاف ما عند الله.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾(الزمر:٧١) نعوذ بالله، كل واحد منا يفكر فيما لو كان واحداً من أولئك الذي سيساقون إلى جهنم كيف ستكون نفسيته، وكيف ستكون حسرته، وكيف ستكون آلامه ومشاعره.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ لأنهم يُدفعون دفعاً إليها كما قال الله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾(الطور:١٣) لا يريدون أن يذهبوا، فتدفعهم الملائكة رغماً عنهم، وتقودهم في السلاسل فيسحبون على وجوههم إلى نار جهنم.

﴿زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ جاهزة لاستقبالهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ خزنتها يستغربون من الناس، ويندهشون من الناس: ما الذي أدى بكم إلى جهنم؟ ما بالكم؟ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾(الزمر:٧١) والله قد جاءتنا الرسل، وجاءنا المنذرون، وكنا نسمع آيات الله، ولكنا كنا معرضين عنها، ولا نحسب لها أي حساب ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الملائكة أنفسهم يندهشون من أهل جهنم، وعندما يرون الملايين تساق إلى جهنم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ تلك الآيات التي تهديكم، تلك الآيات التي فيها ما يبعدكم عن أن تصلوا إلى جهنم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.

أليس هذا حاصلاً في القرآن في كثير من الآيات الكريمة، سور بأكملها تتحدث عن اليوم الآخر؟ سور القرآن مليئة بالحديث، بالإنذار لعباد الله من اليوم الآخر، بالآيات التي تهدي الناس إلى ما يبعدهم من سُوء الحساب ومن عذاب جهنم في اليوم الآخر، أليس هذا في القرآن كثيراً؟ أليس القرآن في كل بيت؟ فلماذا لا نخاف؟! ولماذا نخاف الآخرين بمجرد ورقة واحدة، أو واحد من زبانيتهم يخيفنا، ولا نخاف أي شيء من كل ما نسمع الحديث عنه في كتاب الله الكريم، الذي بين أيدينا وفي كل بيت من بيوتنا؟! ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾(الزمر:٧١،٧٢) ما دام وقد جاءتكم رسل يتلون عليكم آيات ربكم، وقد أُنذرتم لقاء يومكم هذا، إذاً ما بقي هناك أي عذر لكم ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾(الزمر:٧٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾(الشورى:٤٤) هل هناك سبيل إلى أن نرجع إلى الدنيا؟ يبحثون عن الخروج من جهنم بأي وسيلة، ولو بوعود أنهم سيعودون إلى

الدنيا ثم ينطلقون في الأعمال الصالحة ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾(الشورى: ٤٤،٤٥) كأن هذا في القيامة وهم في المحشر ينظرون إلى جهنم لأن جهنم تُبرز يوم القيامة كما قال الله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾(الشعراء:٩١) فيرونها وهي تلتهب وتستعر، ويسمعون صوتها، زفيرها، وشهيقها، يتساءلون: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ هل هناك ما يبعدنا عن هذه النار؟ ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ﴾ مطأطئين رؤوسهم ومستكينين ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ إلى جهنم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾(الشورى:٤٥) المؤمنون وهم يرون أولئك الذين كانوا في الدنيا كباراً، الذين كانوا في الدنيا معرضين عن دين الله ويسخرون من عباد الله؛ سيرون أنهم في خسارة عظيمة، وهم يرونهم في وضع سيئ، هكذا ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ ينظرون إلى جهنم نظرات مخيفة، نظرات شزر: لا يحاول أن يملأ عينه من رؤيتها، لا يحاول من شدة الخوف، هناك يتجلى من هو الخاسر، تجلت الخسارة على أفظع ما يمكن أن تتصور ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ حقيقة هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الزمر:١٥) ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ لأنه هنا لاحظوا في الدنيا قد يرى أي شخص من المنافقين إذا ما تعرض الناس لأي شيء فرأوهم ـ مثلاً ـ يقادون إلى السجون أليسوا هم من يسخرون؟ أليسوا هم من يرون أولئك المؤمنين خاسرين؟ المنافقون الجاهلون الذين لا يعرفون من هو الخاسر الحقيقي، يرونك وأنت في السجن، وأنت تعمل في سبيل الله، يرونك وأنت تُطارَد فيعتبرون أنفسهم أنهم حكماء وأذكياء، أنهم ها هم آمنون في بيوتهم، وأن أولئك خاسرون.

وقد يقول للبعض: "ألم نقل لك بأن هذا العمل سيضيعك من بيتك وأهلك؟ كان احسن لك تبطّل، وتجلس بين مالك، وتجلس في بيتك وبين أولادك وما لك حاجة". هم ينظرون إلى ما يتعرض له المؤمنون أنه خسارة، لكن الخسارة الحقيقية التي هم فيها، الخسارة الحقيقية التي سيلقونها هم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أما من رأونا أننا خسرنا أنفسنا وأهلنا في الدنيا فليست خسارة، لو خسرت بيتك، لو خسرت أهلك وأولادك فطردت من بينهم فإن هذه ليست خسارة في سبيل الله، وقد يصل بك الأمر إلى أن تخسر نفسك وأهلك وأولادك ولكن في ذُل وفي استكانة على أيدي أعداء الله وفي وضعية لا فضل لك فيها؛ لأنك كنت من قعدت، كنت من سكت، ومن توانيت حتى وصل الأمر بك إلى أن تُخرج من بيتك غصباً عنك، ثم لا فضل لك عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أولسنا نرى الفلسطينيين يخرجون من بيوتهم؟ وتدمر بيوتهم ويُطردون من بين أهلهم؟ من قبل من؟ من قبل أعدائهم، وأعداء الأمة اليهود، وهكذا يصل الأمر بالناس إلى هذه الدرجة.

فمن يقول: إنه يريد أن يحافظ على نفسه وأهله وبيته وماله قد يُخرج منها رغماً عنه، ثم لا يكون خروجه منها في سبيل الله بل حسرة وندامة، وتحت وطأة أقدام أعداء الله، أما المؤمن المجاهد الصابر الذي يعمل في سبيل الله فلو خسر نفسه، ولو خسر أهله وبيته وماله فإنه ليس خاسراً، هو من سيقول فيما بعد عندما تتجلى له الأمور، وهو يرى أولئك الذين يرون أنفسهم في الدنيا أنهم كانوا أذكياء لم يتعرضوا ـ في مرحلة مؤقتة فقط وليس على الإطلاق ـ لم يتعرضوا لما تعرضت له أنت في سبيل الله، ستراهم أنت يوم القيامة ثم ترى أن كل ما نالك في الدنيا ليس خسارة، إن الخاسرين الحقيقيين هم أولئك الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وليس نحن، وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

وقد يأتي الشيطان ليقول لك عندما تتعرض لحالة كهذه وأنت مجاهد في سبيل الله قد يقول لك: "لو أنك ما دخلت في هذا الموقف كنت مثل فلان، شُفْ فين فلان فوق بيتهم مكيف، شف فين فلان بين مزرعته يشتغل وما له حاجة" فيوحي لك بأنك في خسارة، وأنك أوقعت نفسك في ورطة وخسارة، يوم القيامة سيتضح لك الأمر إذا ما حاولت أن تدفع الشيطان عنك، وأن تعود إلى صوابك، وترى نفسك أنك في مقام تتعرض فيه للربح عند الله يوم القيامة، سترى أنت أولئك هم الخاسرين حقيقة وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

لهذا قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن الكثير من المؤمنين هم من يُصنفون عند الآخرين خاسرين: تخسر

دراستك، تخسر شهادتك، تخسر بيعك وشراءك، خسرت مالك، خسرت بيتك، هكذا يتعرض المؤمنون للكلام الكثير من قبل الآخرين، فيصفون كل ما يتعرضون له بأنه خسارة، ويصفونك بأنك أحمق وأنت تنطلق في عمل ما، أو تقول كلمة حق بشكل صريح، يعتبرونك أنك أحمق لأنك تعرّض نفسك للخسارة، فهؤلاء المؤمنون الذين تحمّلوا في الدنيا ما يقال ضدهم وصبروا واستقاموا هم من ستتجلى لهم الأمور يوم القيامة فيقولون للآخرين، ويقولون لأنفسهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حينئذٍ: والله صحيح ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ هم أولئك ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ونحن نراهم يسحبون على وجوههم في السلاسل والأغلال إلى جهنم، أليست هذه هي الخسارة الحقيقية؟

قد يراك أحد الناس ـ كما حصل فعلاً في بلادنا وحصل في مناطق أخرى ـ فيرون أحداً من الناس من هذا الصف وهو يُقاد به إلى السجن فيرون أنفسهم في ربح أنهم رأوا أولئك، ومن هم أولئك؟ هم في الواقع الذين لم يتعرضوا لأي أذى أو ضر من جانبهم؛ لأن المؤمن هو من لا يضر الآخرين، وهذه هي من الأشياء التي تعتبر مما تدهش الإنسان أمام المنافقين: أن المنافق يحمل غيظاً وحقداً على المؤمنين، وهو يتأكد في قرارة نفسه أنه غير خائف منهم لا على نفسه ولا على ماله، هو لا يتوقع منهم أن ينهبوا ماله، هو لا يخاف أي شيء من ضرهم وأذاهم، ولكنك تراه يفرح ويرتاح والمؤمنون يُقادون إلى السجن، ألم يحصل كهذا؟

وقد يرى الإنسان نفسه وهو في حالة كهذه في ألم شديد، لكن أنت عد إلى كتاب الله لتعرف أن المواقف ستتغير، وأن هناك في القيامة سيتجلى من هو الخاسر الحقيقي، ومن هو الرابح الحقيقي.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾(الزمر:١٥،١٦) أليست هذه هي الخسارة، أم خسارة المؤمن في هذه الدنيا التي يفرح بها الآخرون، وأنهم أوقعوه فيها، بتقاريرهم، بوشايتهم، بنفاقهم، بكذبهم؟

ما هي الخسارة التي سيوقعونه فيها؟ قد تكون لو هلك هو في نفسه فهي فترة محدودة لا يحس بعدها بشيء من الآلام بل سيكون شهيداً يفرح يعيش حيًّا يرزق، ويستبشر ويفرح بتلك الحالة التي قد وصل إليها فيما بعد، أو يرى نفسه فوقه ظلل من الإسمنت، وتحته أرض مبلطة، يرى نفسه يُقاد إلى السجن في سيارة، هل هذه هي الخسارة أم خسارة من يقاد إلى جهنم في السلاسل والأغلال ويُسحب على وجهه، ومن سيكون في سجن جهنم من فوقه ظلل من النار ومن تحته ظلل؟ أليست هذه هي الخسارة؟ ولهذا جاء في الآية الأخرى: ﴿قُلْ﴾ قل يا محمد للناس، لأولئك الذين يسخرون من المؤمنين ويعدونهم خاسرين عندما ينالهم شيء وهم ينطلقون في سبيل الله: ليست هذه خسارة﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ الحقيقيين هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾يوم القيامة وليس هنا في الدنيا ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الخسران الحقيقي والواضح ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

هكذا يقول الله لنا سبحانه وتعالى؛ يعلمنا كيف تكون مشاعرنا، وما هي المشاعر التي نحملها ونحن في أي مرحلة صعبة، وأنت في مواجهة أي خطر ينالك أو يحدق بك، لا تعدّ شيئاً في هذه الدنيا ينالك في سبيل الله خسارة، وهذه هي قاعدة عامة وثابتة، وسُنة من سُنن الله سبحانه وتعالى: أن من يعمل لدينه وفي سبيله، وينطلق في رضاه ليس هناك أمامه أي خسارة على الإطلاق، لا خسارة مادية، ولا خسارة معنوية أبداً.

لاحظوا، عندما يدعو الله الناس للإنفاق في سبيله ألم يعدهم بأنه سيخلف عليهم ما أنفقوا؟ ليفهمنا أن العمل في دينه ليس فيه خسارة أبداً، والنظرة المغلوطة لدينا هي هذه: أن كل من يفكر أن ينطلق في الأعمال في سبيل الله بنفسه وماله يُخيل إليه أنه سيقع في الكثير من الخسارة، سيحتاج أن يعطي كذا، سيحتاج أن ينالـه كذا فيرى نفسه يتعرض للخسارة. إن الله في القرآن الكريم أوضح لنا بأنه ليس في العمل في سبيله أي خسارة أبداً.

فأنت إن أنفقت يخلف عليك أضعاف ما أنفقت، وأنت عندما تكون تعمل في سبيله فينالك شيء من الألم كله سُيكتب لك عمل صالح، ذلك الألم الذي قد ينالك على أيدي أعدائك الذين لم تعمل في سبيل ضربهم قد ينالك الكثير من الألم ثم لا يكتب لك شيء. أما إذا كنت في سبيل الله فإن كل حركة من حركاتك، وأي مصيبة تنالك، وأي مشقة مهما كانت بسيطة كلها تُكتب لك عمل صالح، وأن يكتب لك عمل صالح مضاعف الأجر حينها

ستجد بأن كل ما ينالك ليس وراءه خسارة.

إن الخسارة هي أن يُكسّر عظام الإنسان على أيدي اليهود وهو بعد لم يعمل ضدهم شيئاً، هذه هي الخسارة. إن الخسارة هي أن يُدمر بيتك على أيدي أعداء الله وأنت ممن كنت لا تعمل ضدهم شيئاً، هذه هي الخسارة. حينها سيكون كل ما نالك عقوبة، والعقوبة لا أجر عليها، لا أجر معها. أليست هذه هي الخسارة الحقيقية؟ لكن ليحصل مثل هذا، أو أكثر منه، أو أقل منه في سبيل الله لن يكون خسارة؛ لأنه يُكتب لك عمل صالح، مضاعف الأجر عند الله، ثم وبناءً على هذه القاعدة الإلهية أنه لو وصل الأمر إلى أن تضحي بنفسك ألم تنفق نفسك حينئذٍ في سبيل الله؟ يقول لك: لن تخسر أبداً حتى روحك وستعود حيَّا، ألم يقض بهذا للشهداء؟ ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾(البقرة:١٥٤) ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران:١٦٩) لأنك من بذلت نفسك في سبيله، وعلى أنه لا خسارة في التعامل معه سيعيد لك روحك، وتعيش حيَّا تُرزق بكامل مشاعرك، وتفرح، وتستبشر بما أنت عليه، وبمسيرة الآخرين ممن يسيرون على نهجك، أنهم يسيرون على طريق حق، وعلى صراط مستقيم، وأن من سيلحق بعدك من إخوانك سينال ما نلته أنت من التعظيم، ومن الحياة في ذلك العالم، حياة مليئة بالفرح والسرور، هل هناك خسارة؟

أليس الناس يموتون؟ هذه هي الخسارة أن تموت ثم لا يكون في موتك إيجابية بالنسبة لك، ليس في موتك أي استثمار لك، وهذه هي الخسارة الحقيقية. هكذا يعلمنا الله: بأن كل من ينطلق في سبيله لن يخسر أبداً، وأن الخسارة هي خسارة أولئك الذين قد يكون واقعهم يؤدي بهم إلى أن يخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. ومن يهربون من الموت في الدنيا، هم من يموتون حقيقة، هم من يضيعون في التربة حقيقة، أما الشهداء فإنهم لا يموتون أوليس كذلك؟ فكل من يخاف من الموت هو الخاسر، هو من يريد أن يموت، هو من سيكون موته لا قيمة له، إذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله، وأن تُقتل شهيداً في سبيله لتعيش حيَّا.

وكل ما يُقعد الناس عن العمل في سبيل الله إنما هي مفاهيم مغلوطة، كلها وضعية غلط، وكله فهم غلط حتى من يرى أن هناك ما يُبرر له قعوده عن أن يجاهد أعداء الله؛ لأنه عالم اكتشف على أساس قواعد (أصول الفقه) أن بإمكاني ألاَّ يجب هذا الواجب عليّ، وأن يكون تعاملي مع الله محدوداً، أستطيع أن أبحث عن الحيل التي تخلصني من أن يجب هذا الواجب عليّ، أليس هو سيموت؟ لماذا تهرب عن هذه الكرامة العظيمة، وربما قد تكون أنت من قد عشت في الدنيا عشرات السنين ومُتعت بما مُتعت في الدنيا؟! حاول أن تستثمر موتك، لا تبحث عن الحيل، لا تبحث عن المبررات، إنك من يجب لمثله أن ينطلق ليحظى بهذه الكرامة لأن ـ في العادة ـ الإنسان لا يبحث عن المبررات وعن الحيل ليقعد، أو لينطلق ليصنف أعمال الآخرين بأنها أعمال حمقاء، أو أنها باطلة، كله: الخوف من الموت، هل أنت تخاف من الموت؟ هل أنت تكره الموت؟ حاول أن تعيش حيَّا، حاول أن تكون ممن قال الله لنا ومنعنا عن أن نسميهم أمواتاً، الموت ملغي في قائمتهم ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ﴾ ليسوا أمواتاً إنهم أحياء ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾، ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

إن الحماقة هي هذه، وهذه هي الخسارة: أن يتهرب الإنسان عن الربح العظيم في الدنيا وفي الآخرة، يتهرب عن الحياة، أليس الشهيد حيَّا؟ أنت تتهرب عن الحياة خوفاً من الموت، وهذا من أغرب الأشياء، أنا أخاف من الموت فلا يدري الإنسان وإذا به قد وقع في الموت الحقيقي، الغيبوبة المطلقة إلى يوم الدين، أما الشهيد فهي لحظة، قد تكون لحظة ربما قد لا تكون إلا دقائق معدودة، وقد لا يكون فعلاً هناك فاصل، فهو حي، وحياة يراها أفضل من الحياة التي كان فيها.

حينئذٍ إذا تأملنا كل شيء وعلى أساس أن دين الله كله ربح، هو ليس فيه خسارة في أي مجال من المجالات، حتى وأنت عندما تنطلق كطالب علم، يقول طلاب العلم إنهم يريدون أن يعرفوا الحق، وأنه تفرغ لطلب العلم من أجل أن يعرف الحق، ويعرف كيف دين الله، إن هناك أعمالاً هي نفسها وسيلة من وسائل الهداية المهمة لتعرف الحق في كل شيء ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(العنكبوت:٦٩) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(القصص:١٤).

لا تفكر أن العلم هو كل ذلك الذي يعطيك أستاذك، أو كل ذلك الذي تحصل عليه من داخل الكتاب، انطلق في

الأعمال التي هي أعمال إحسان كبيرة عند الله لتكون ممن يعطيه هذا الجزاء العظيم ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ﴾ آتَيْنَاهُ، ولم يقل أوتي من أي طرف آخر ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ﴾ وهكذا كسُنة ثابتة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المحسنين، وأرقى درجات الإحسان هي الدرجة التي قال الله عن أصحابها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ألم يعد الجهاد هنا هو الإحسان الحقيقي؟

فطالب العلم الذي يرى نفسه بأنه في طاعة الله وهو هناك، يرى مجاميع كهذه يضيعون أوقاتهم ـ من وجهة نظره ـ وهم يستمعون للمحاضرات، أو ينطلقون في أعمال ويشغلون أنفسهم عن أن يبقوا في زاوية المسجد على (شرح الكافل) أو على أي كتاب آخر يراهم خاسرين، ويرى نفسه هو أنه من عرف الطريق الصحيح، وأنه ها هو يشتغل بطلب العلم. إن طلاب العلم، ومن يحملون العلم إذا ما اتجهوا هذا الاتجاه هم من سيحصلون على العلم الحقيقي فعلاً ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ﴾ ماذا؟ ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وكم وجدنا، كم وجدنا ممن قطعوا أعمارهم في زاوية من زوايا بيوتهم بين ركام الكتب يظنون أن هناك العلم وحده، وأن ذلك مصدره وحده، كم وجدنا من أقوال، كم وجدنا من الجهالات، وتجد لأولئك المجاهدين كالخميني ـ مثلاً ـ وكالإمام زيد عليه السلام وكالإمام الهادي عليه السلام وأمثالهم من المجاهدين تجد الحكمة، وتجد العلم، وتجد الهدى لديهم، وهم بعضهم لم يعش كنصف عمر ذلك الشخص الذي عاش ستين سنة أو سبعين سنة في زاوية من زوايا بيته بين ركام الكتب، ترى في أقواله الكثير من الجهالات، ترى في عقائده، في نظراته الكثير من الأخطاء؛ لأن النظرة من أساسها خاطئة، أن تظن أن هذا الكتاب أو ذلك الكتاب هو كل شيء. إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل حتى القرآن بدلاً عنه، هو من يهدي، وهو من يعلِّم، وهو من يؤتي الحكمة من داخل كتابه، وممن يشدهم كتابه إليه، وليس لمن يرون كتابه حتى كتابه بدلاً عنه، فكيف بمن يرى كتباً أخرى هي من كتب البشر بدلاً عن أن يجاهدوا في سبيل الله، وأن يكونوا من المحسنين ليحصلوا على العلم والحكمة من قبل الله.

ثم كم وجدنا ممن حملوا علماً وليس لديهم حكمة، ومتى كان للإنسان علم دون حكمة يتحول علمه إلى ماذا؟ إلى صد عن سبيل الله في أغلب الحالات، يتحول علمه إلى إضلال. الإنسان يحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يتجه بعلمه إلى نفسه، ويحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يدعو الآخرين إلى ربه، إذا ما فقدت الحكمة وأنت تعلم نفسك ستفقد الحكمة وأنت تعلم الآخرين، من أين تأتي الحكمة؟ لا يستطيع أحد أن يؤتيك الحكمة إلا الله سبحانه وتعالى، وهو هو من قال لشباب كانوا في مراحل التعليم ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ شاب، وقد يكون البعض يرى بأنه قد بلغ السن الذي فاته فيه أن يتعلم. نشأ يوسف عليه السلام في مصر، من الذي علم يوسف عليه السلام؟ ألم يأخذه إخوته وهو صغير، وسجنوه في البئر، ثم مشى وقطع فترة طويلة من عمره داخل قصر يشتغل أشبه شيء بخادم؟

ثم موسى عليه السلام من الذي علمه في مجتمع كـ(ذلك المجتمع) مجتمع الفراعنة؟ هو الله سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ثم انظر كيف كانت مواقف موسى عليه السلام ذلك الذي نشأ في بيئة جاهلة، ألم ينشأ في بيئة جاهلة في مصر، مصر الفرعونية؟ هل كان هناك مراكز؟ هناك مدارس علم؟ ربما قد يحصل لديه القليل مما يعرفه عن ديانة آبائه من بني إسرائيل، لكنك تجده في القرآن يُقدم حكيماً قبل النبوة، ويُقدم عالماً قبل النبوة أيضاً، من أين جاء هذا؟ لأنه انطلق ـ كما قال الله عنه ـ في مجالات الإحسان فآتاه الله حكماً وعلماً.

كذلك يوسف عليه السلام ألم يكن تصرفه حكيماً، ومنطقه حكيماً وهو في مصر، والنساء يحاولن وراءه؟ ثم وهو في السجن، ثم وهو كوزير للاقتصاد، أو وزير للمالية، ألم يكن منطقه حكيماً وتصرفه حكيماً؟ ألم يكن استقباله لأبويه وإخوته حكيماً ومنطقه معهم؟ من أين جاء هذا؟ من الله سبحانه وتعالى.

أما الذي ينصرف ويقول: هؤلاء الناس يضيعون أوقاتهم بين ندوات وجلسات وأمسيات، لماذا لا يتفرغون لطلب العلم؟! هذه نظرة جاهلة، سيكفيك كتابٌ واحدٌ وترى نفسك أنه يكفيك أكثر من عشرات الكتب التي قطع ذلك الشخص عمره وهو يتردد بينها، ويقرؤها كتاباً بعد كتاب، ويردد الكتاب مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدنا في الأخير أننا كنا نقطع أيامنا مع كتب وإذا هي ضلال كلها من أولها إلى آخرها ككتب (أصول الفقه) بقواعده، وإذا هي وراء كل ضلال نحن عليه، وراء قعود الزيدية، وراء ضرب الزيدية، وراء هذه الروحية المتدنية لدى الزيدية، التي

تختلف اختلافاً كليًّا عمَّا كان عليه السابقون من أهل البيت وشيعتهم.

وهي التي نسهر ونحن نراجع الدروس فيها، وهي هي من نحملها معنا إلى داخل المساجد، وما أبعدها عن واقع المساجد! ثم وإذا بنا نجني على أنفسنا، ونجني على مساجدنا من تلك الكتب التي كنا نرى أنفسنا نتعبد الله بقراءتها، وإذا بها هي التي عطلت مساجدنا فلم تصبح لها روحيتها التي لروحية مسجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وإذا بنا فقدنا روحيتنا التي كانت في أهل البيت وشيعتهم السابقين.

هذا ما سيحصل عليه من سيسخر ممن ينطلقون في الأعمال في سبيل الله، الأعمال التي هي تدافع عن هذا الدِّين، وهي جهاد في سبيله ومواجهة لأعدائه، أليس هذا هو ما نتكلم عنه، ونحاول أن نسير فيه ونحن نرى أعداء الإسلام يصلون إلى كل منطقة، ونحن نرى أمريكا وإسرائيل، ونسمع أن الأمريكيين قد وصلوا إلى بلادنا؟ ماذا سيعمل أولئك الذين في زوايا المساجد؟ ماذا سيعملون؟ هو من سيبحث عن مبرر لقعوده، ومن أين سيحصل؟ من القرآن؟ لا. لن يحصل عليه من القرآن، سيحصل عليه من بطون الكتب الأخرى.

ويكفينا شرفاً أننا أبعدنا أنفسنا عمَّا رأينا آثاره السيئة في واقعنا، وماثلاً أمام أعيننا في مجتمعنا، ويكفينا شرفاً أن ننطلق في عمل نحن نعرف أنه العمل الذي ينسجم مع القرآن كاملاً، وأنك حينئذٍ تجد نفسك منسجماً مع القرآن لا تبحث عن مبرر يُبرر لك قعودك أمام ذلك النص القوي في هذه الآية أو تلك.

أما أولئك فهم من إذا رأوا آيات كآيات الجهاد، وآيات كآيات الإنفاق، وآيات كآيات الأمر بالتوحد، وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو من يحاول أن يرجع إلى ما قرأ في تلك الكتب داخل (أصول الفقه) ليبحث عن المبرر، ليتهرب من هذه الآيات. هل هذا منسجم مع القرآن، أم أنه بعيد عنه؟ إنه بعيد عنه.

فالعلم هل هو الذي يبعدك عن القرآن، أم الذي يجعلك منسجماً مع القرآن؟ إنه الذي يجعلك منسجماً مع القرآن، والعمل الصالح هو الذي يجعلك منسجماً مع القرآن، وفي الأخير هو ما يجعلك بعيداً عن جهنم، جهنم هذه التي ملأت آيات القرآن صفاتها الشديدة المرعبة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبعدنا عن جهنم، وأن يرشدنا إلى صراطه المستقيم إنه على كل شيء قدير، وأن يؤتينا الحكمة والعلم إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ١٨من ذي الحجة ١٤٣٧هـ
الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠م
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١م	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٨م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٧ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٣ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ـ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام

الموت لأمريكا			
الاسم :	الله أكبر	الصف:	
المدرسة:		السنة الدراسية:	

الأيـــام	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
السبت								
الأحد								
الإثنين								
الثلاثاء								
الأربعاء								
الخميس								

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود — النصر للإسلام

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام